Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نهج البلاغة» ، ذلك الكتاب الجليل ، في أقلّ من خمس سنوات ؛ كلّ هذا ، إن دلّ على شيء ، فانّما يدلّ على عبقريّة الرّجل ، ومقدرته الأدبيّة والعلميّة ، وتمكّنه التّامّ من اللّغة العربيّة .

وبالإمكان ملاحظة ذلك بوضوح ، في «شرح الآيات البيّنات» . فقد استطاع ابن أبي الحديد أن يعبّر أحسن تعبير عن أدقّ المعاني ، بأوضح الألفاظ وأبينها . ورغم ما يرافق عادة البحوث المنطقيّة من تقسيمات وتشعّبات ومصطلحات فنّيّة ، فقد تميّز أسلوب الشّارح – في جملته –، بما عوّدنا به في مؤلّفاته الأخرى ، من سلاسة في التّركيب ، وبهاء في الصّياغة ، وسلامة في اللّغة ، وفصاحة في اللّسان ، ووضوح في البيان ، بحيث يمكّن القارىء من أن يتتبّع يراعه بسهولة ، وهو يستقصي آراءه ، ويتنقّل منهجيًّا من موضوع إلى آخر ، شارحًا تارة ، وناقضًا أو مدليًا برأي مغاير تارة أخرى .

هذا ويبدو القارىء شغل المؤلّف الشّاغل . فهو يبذل كلّ ما في وسعه ، لتبيان وإيضاح ما غمض من معانٍ ، حتّى يساعده على فهمها بيسر وبدون كبير عناء .

وليجيب على اسئلة قد تخطر على بال القارىء ، يلجأ الكاتب إلى نوع من المحاورة الذّاتيّة . فيتخيّل سؤالاً ، يردفه فورًا بالجواب المناسب ، قائلاً مثلاً : «وإذا قلتَ (أو قالوا) . . . . قلتُ (أو قلنا) . . . .» .

علاوة على ذلك ، فقد أراد أن يضمّن شرحه الأهمّ الضّروريّ ، دون حشو ولا إطناب ، ليجعل منه كتابًا جامعًا مانعًا . وهذا فعلاً ما هدف إليه إبتداء . ألم يعِد صديقه – في مقدّمته – بوضع كتاب مختصر «ينحطّ عن الإكثار المملّ ، ويرتفع عن الإيجاز المخلّ»[1] ؟

هكذا وفى ابن أبي الحديد بما وعد . فساهم في إغناء التّراث العربي الإسلامي بمثل هذا الكتاب القيّم الذي تميّز بوضوحه ، وبيانه ، ممّا يجعله في متناول الجميع .

---

1 شرح الآيات : ص 83 .